الشاهد

مسرحية في مشهدين

بقلم حسن النجمي

الاشخاص : ١) عائد
٢) الاب
٣) السكرتير

(المشهد الاول)

المنظر : (قاعة استقبال كبيرة انيقة الاثاث يتوسطها مكتب فخم جلس وراءه السكرتير ، ويبدو في طرفها بعض الشيوخ من الملونين .. يرى ـ خلف كرسي السكرتير مباشرة ـ باب كبير تلتمع فوقه السلاسل المزدانة بعدد من الاقفال) .

السكرتير : .. ولكن سيادة الرئيس مشغول جدا في هذه الايام ولا استطيع ان اسمح لاحد بالدخول عليه ..

عائد : ولكن القضية التي جئت من اجلها لا تحتمل التأجيل..انها قضية حياة او موت ..

السكرتير : كل القضايا التي تنتظر حكم سيادته قضايا حياةاو موت .. انك لا تشكل استثناء وعليك ان تنتظر ..

عائد : لقد انتظرت .. انتظرت طويلا واكثر مما ينبغي ..

السكرتير : دعنا من هذا التهويل .. واطرح عنك هذا التطرف بالاحساس بسرعة الزمن .. أترى ذلك الرجل الاشيب ؟ لقد كان شابا عندما جاءني اول مرة طالبا مقابلة سيادته ..

عائد : ولكن هذا غير معقول ..

السكرتير : انه معقول اكثر مما تظن .. لقد نسيت ان اقول لك انه كان خلفا لكهل اخر عندما جاءني في طلب المقابلة !

عائد : وذلك الكهل الاخر .. هل كان خلفا لشاب ادركته الكهولة وهو ينتظر المقابلة السامية ؟!

السكرتير : تماما ..

عائد : قضيته اذن ليست قضية حياة أو موت كقضيتي ..

السكرتير : انه يزعم كأسلافه ان قضيته اكثر من قضية حياة او موت .. انه يدعوها قضية حق وكرامة الانسان أيضا ..

عائد : ان قضيته لا تهمني في كثير او قليل .. انني يائس تماما وقد ارتكب عملا جنونيا ..

السكرتير : هذا تهديد لا يجب ان يلوح بمثله رجل جاء في طلب العدالة !

عائد : ان العدالة التي تمشي بخطى السلحفاة لاشد ايلاما منالظلم ..واؤكد لك ان امورا سيئة جدا ستحصل اذا لم ار الرئيس فياقرب فرصة.

السكرتير : هذا انتقال سريع من التهديد مداورة الى التهديد مباشرة .. أنسيت ان سيادته يملك من القوة ما يكفي لسحق أيةمحاولة يقوم بها انسان ، وخصوصا اذا كان ذلك الانسان مظلوما مثلك ؟!

عائد : وذلك الكهل الاخر .. هل كان خلفا لشاب أدركته الكهولة للحظة .. اريد ان اظفر منه بموعد قريب او نظرة عطف او كلمة تأييد تمنحني القوة على الصبر والانتظار ..

السكرتير : لا استطيع ان اساعده .. انني آسف جدا ..سيادته مشغول في هذه الاونة بقضية ملحة تشغل تفكيره وهو الان بانتظار قدوم الشهود ..

عائد : بانتظار الشهود ؟

السكرتير : تماما .. ولو كنت شاهدا لادخلتك عليه بدون تردد.. يجب ان تدرك ان سيادته لا يطيق ولا يستطيع اصلا ان يفكر بحلمشكلتين في وقت واحد .. واذا حصل هذا له فانه يتألم كثيرا !

عائد : الناس حيث كنت .. يفكرون بألف مشكلة فيوقت واحد..

السكرتير : لعل هذا هو سبب وقوفك امامي !

عائد : اخالك مصيبا ..

السكرتير : يجب ان تشعر معه وتحس بآلامه ومسؤولياته الضخام .. انه مرهق الاعصاب دائما .. فهناك مشاكله البيتية ، ، الزوجة، الاولاد ، الام والاب والحماة والجيران .. وهناك تتبعه للاخبار العالمية ولانباء الانقلابات من عسكرية ومدنية ، بالاضافة الى المجلات التي يجبان يطالعها والروايات البوليسية والافلام التي يتحتم عليه ان يشاهدها .. وزد على ذلك التلفزيون وفضائح المومسات والممثلات ونجوم المجتمع ونجماته .. كل هذا يجب ان يتم في ثماني ساعات راحته التي تسبق ساعات نومه المضطرب .. انه ، باختصار ، انسان يحتاج الى قسط وافر من العدالة التي يوزعها على الناس .. انه مسكين .. الا ترى انه مسكين ؟!

عائد : اوافقك على انه مسكين .. ولكن لا بد لي من مقابلته ولو للحظة .. اني اصر على هذا ولن اتزحزح او انتقل من هذه القاعة، واذا ذهب من باب خلفي فسأتبعه الى بيته ، اتسلل الى عمله ، الى الجريدة التي يقرأها والكتاب الادبي والبوليسي والجنسي والديني حتى .. وسأطل عليه من التلفزيون ومن الشاشة البيضاء ومن الراديولاشعره بوجودي اذا لم تفتح لي هذا الباب الذي يقف بيني وبينه ..

السكرتير : « باسما » يلذ لي ان ارى الناس وهم ينساقون في تيار العاطفية الجارف ، انك متوسطي ولا تعرف الكثير عن الحياةهنا .. لقد سبقك الكثيرون الى ما تنوي عمله ، ومنهم من تدعي انهم ظلموك وهم اناس يعرفهم منذ زمن طويل ويراهم كل يوم !.

عائد : سأكرس حياتي لهذا الغرض واحبط مزاعمهم ..

السكرتير : سيكلفك هذا الكثير من الجهد والمال .. اسمع .. لقد خطرت لي فكرة .. ما رأيك في ان تدخل عليه كشاهد في قضية ؟

عائد : شاهد في قضية ؟!

السكرتير : نعم .. في القضية التي يدرس ملفها الان ويحصر اهتمامه بها .. قضية البيضاء التي اعتدى عليها الزنجي وشنقه اهالي البلدة هو وعائلته على شجرة واحدة ..

عائد : أأدخل عليه لاشهد في مثل هذه القضية ؟ اني لا اكاد اعرف شيئا عن ملابساتها ..

السكرتير : اذا كانت هذه القضية لا تعجبك فسأدخلك عليه بصفتك شاهد اثبات في قضية الزنجي الذي اصر على الاكل في مطعم البيض وقتل .. ان الرئيس سيستقبلك بحرارة في هذه الحال وقد تتمكن من كسب وده او عقد شبه صداقة بينك وبينه اذا شهدت بأنك تعرف

الزنجي وانه كان مجنونا ..

عائد : ولكني لم اسمع بهذه القضية .. ثم انها قضية فرد .. مجرد حادثة حدثت في مكان لا اعرفه ولا تستحق التفات سيادته ..

السكرتير : انها تحتل قائمة الصدارة في تفكير سيادته وهو يتابعها باهتمام ، بل انه يود لو انه لم يكن رئيسا ليشهد في القضية بنفسه ويشنق الزنجي بيده الكريمة ..

عائد : غريب اهتمام سيادته بهذه القضية الى هذا الحد .. ليته اهتم بقضيتي التي هي قضية جماعة مثل اهتمامه بهذه الحادثة التافهة..

السكرتير : قضايا الجماعة لا تهز الوجدان .. المآسي الفردية هي التي تعصر القلب ، وسيادته من ذوي القلوب الكبيرة ..

عائد : هذا منطق جديد علي !

السكرتير : انك تظل بعيدا عن قلب الفرد وتفكيره حين تحدثه عن جماعته ، مجرد ذكر الجماعة يوحي له بالثقة بانهم لن ينقرضوا بين عشية وضحاها ، يوحي له بأن قضيتهم تحتمل التأجيل .. أما في حالة الفرد الاخر ، فانه يضع نفسه في مكانه فورا ويتصور ان الوجود سيتعطل ، اذا لم يتم الانقاذ فورا .. أفهمت ؟

عائد : لم اقتنع ..

السكرتير : أقنعك .. ألم تسمع بالبنت الصماء العمياء التي جمعت الملايين لمؤسسات العميان عندنا ؟

عائد : سمعت طرفا من قصتها ..

السكرتير : لقد كانت المؤسسات الخيرية ومؤسسات العميان خاصة ذات موارد محدودة دائما ، لانها تهتم بجماعات ، وكان الرئيس يرسل لها بين الحين والاخر ما يتيسر معه من فائض مصروفاته دون ان يشعر بالضرورة الملحة لعمله .. اما في حالة البنت المذكورة التي تحدثت عنها الجرائد والاذاعات وسلطت عليها الاضواء فقد اختلف الامر.. لقد دفع لها الرئيس الملايين وهو كسير الخاطر دامع العين لانه لا يستطيع ان يعطيها اكثر مما اعطى ! هل وضح الامر الان ؟

عائد .. نعم .. فهمت تقريبا ..

السكرتير : حادثة اخرى .. الصبي الاعرج الذي يملك ابتسامة نادرة الشحوب ، لقد خلب لب سيادته زمنا واقض مضجعه .. وكذلك حادثة الرجل الذي قفز من سطح احدى العمارات .. والفتاة التي شنقت نفسها بالجورب النايلون وامامها صورة حبيبها الهاجر ورسمه الملون الحميل .. أليست هذه الحوادث ، اقصد هذه القضايا مما يثير الاشجان ويسحق القلب ؟

عائد : هي كما تقول اذا كان سيادته مهتما بها !

السكرتير : تصور تلك المسكينة مدلاة من سقف غرفتها بالجورب الاسود وامامها رسم الغادر ، الرسم الملون المشع بفعل الفسفور .. حاول ان تتخيل كم كانت تعيسة .. انها ماساة « يتهدج صوته » ماساة تدمي القلب حقا ، تستدر الدموع « يتناول منديلا من جيبه ويجفف دمعة حارة » .

عائد : هوّن عليك يا صاحبي .. انها اشياء تحدث يوميا في العالم ولا جدوى من ملاحقتها ..

السكرتير : انه عالم كئيب غريب عالم القرن العشرين هذا .. تصور الجحيم الذي كانت تعيشه تلك المسكينة .. تصور !

عائد : انه جحيم حقا !! وليست قضية الجماعة الذين جئت من اجلهم بقضية مهمة على هذا القياس .. المهم حقا هو الا نترك فتاة اخرى تشنق نفسها بجوربها النايلون او رجلا ينتحر قفزا في البركان ..المهم هو قضية الزنجية التي دخلت الى المزرعة واطلقت رصاصها على الحفور بدون رحمة او تمييز .. اليست هذه هي قضية الساعة ؟

السكرتير : احدث مثل هذا حقا ؟! لقد قلت مرارا ان علينا لكي نرتاح نهائيا من هؤلاء الزنوج ان نقضي عليهم دفعة واحدة .. «بشوق» قل لي كيف حصل الحادث ؟

عائد : « بتردد » لم اشاهده بعيني .. ولكن ..

السكرتير : « مقاطعا » شاهد عيان من اصدقائك حدثك بالتفاصيل .. هذا لا يهم .. تستطيع ان تكون شاهد اثبات وتقسم اليمين..وستؤخذ اقوالك بعين الاعتبار . كيف حصل الحادث ؟

عائد : « بحيرة » لا ادري بالضبط لان هنالك اكثر من مسؤول عن الحادث .. ولكنه كما علمت يتلخص في مجيء تلك الزنجية من مكان لا يعرفه احد .. انها ـ كما قيل لي ـ مشردة بلا موطن معين ..كالفجر..

السكرتير : كلهم هكذا هؤلاء الزنوج الملاعين .. اكمل ارجوك..

عائد : ولكنها وبعكس الفجر غنية ولها اقارب في كل مكان تقريبا .. اقارب من الصناعيين والماليين الكبار .. هذا بالاضافة الى انها صارخة الجمال وتتقن كافة فنون الاغراء والاستهواء ..

السكرتير : كلهن هكذا .. هل تعلم ان الزنجيات اكثر اثارة من الشقراوات ؟ اذكر حادثا لي مع احداهن ايام الشباب.. سأحدثك بهذا في وقت اخر .. اكمل القصة من فضلك .. يلوح لي انها مثيرة..

عائد : انها كذلك حقا .. لقد تسللت تلك الزنجية من ثغرة في السياج ، هرّبها للاسف الشديد رجل ابيض ، رجل كان يتشدق كثيرا بالشرف والعهود واحترام المواثيق وما الى هذا .. لقد فتح لها الثغرة بيده ..

السكرتير : انها ـ كما يبدو لي ـ قصة مثيرة للخيال.. مثل قصص القرصان . هل قرأت قصة كابتن بلود ؟

عائد : لا ..

السكرتير : وكابتن كيد او كابتن مورغان ؟

عائد : لم اسمع بهما حتى ..

السكرتير : يجب ان تقرأ هذه القصص في فراغك .. انها مسلية جدا .. اين وصلنا في القصة ؟.. لقد فتح دراكيولا ثغرة في السياج ودعا الزنجية للدخول ..

عائد : دراكيولا ؟ لم أقل ان هذا هو اسم الرجل الابيض !

السكرتير : لقد منحته الاسم من عندي .. ثم انه ينطبق عليه تماما .. ألا تعرف من هو دراكيولا ؟

عائد : لم اسمع باسمه قبل اليوم .

السكرتير : لقد كان دراكيولا وحشا يمتص الدماء .. انه ابشع من فرانكشتين بمراحل .. ألم تسمع بهذا الاخر ايضا ؟

عائد : الواقع اني لم اسمع به .. اني اقر بجهلي الفاضح ونقص ثقافتي ..

السكرتير : عجيب .. لقد طبعت قصة فرانكشتين في اكثر من مئة لغة حية وكذلك قصة دراكيولا مصاص الدماء ..

عائد : واذن فقد كان دراكيولا مصاص دماء !

السكرتير : نعم .. كان له اكثر من ضحية واحدة في الليلة ..كان يمتص دماء ضحاياه من العنق .. من هذه الشرايين بالذات .

عائد : شخصية مرعبة دراكيولا هذا .. وأكاد اجزم بانه يشبه الى حد ما ذلك الرجل الابيض ..

السكرتير : ماذا تقصد بقولك الى حد ما ؟. أهو مرعب اكثر من دراكيولا أم اقل ؟

عائد : عندما اشرح لك دوره في الجريمة سترى انه كان ابشع من دراكيولا الاصلي بكثير ..

السكرتير : انك انسان نادر الوجود .. أين كنت قبل اليوم ؟ اني كتلة اعصاب ثائرة تطلب بالحاح بقية القصة ..

عائد : لقد فتح الرجل الابيض تلك الثغرة في السياج وهرّب الزنجية الى المزرعة .. فعل هذا بعد ان كم افواه اصحابها وربط ايديهم بحبال من نوع غريب ..

السكرتير : انه ابشع من دراكيولا بكثير اذا اخذنا بعين الاعتبار انه فعل هذا كله لتسهيل ارتكاب جريمة حقيرة ..

عائد : لقد فعل اكثر من هذا .. كان قد وعد الزنجية بالاستيلاء على المزرعة بعد ذبح اصحابها في نفس الوقت الذي وعد فيه اصحاب المزرعة بالحماية .. لقد كان وصيا عليهم كما يدعي ..

السكرتير : هل فعل هذا حقا ؟.. انه مجنون شرعا .. ان هذه

الفعلة منافية لابسط مبادىء الشرف .. لا اتصور ان يقوم رجل ابيض بها ، اللهم الا اذا كان مجنونا ..

عائد : لا تتهمه بالجنون .. انه شخصية معروفة في المجتمع لها نفوذها الكبير .. الحق اقول لك .. ان القانون قد لا يطاله حتى ولو ثبتت عليه تهمة تسهيل الجريمة والاشتراك في تنفيذها .

السكرتير : اعتذر .. لقد تسرعت حقا .. لا بد انه عصبي ، او ضعيف الذاكرة يصاب بنوبات ذهول تجعله غير مسؤول عما يقوم بـه من اعمـال ..

عائد : هذا بالضبط ما يقوله عنه اصدقاؤه في معـرض تبريرهم لجريمته البشعة .. اقصد فعلته غير اللطيفة !

السكرتير : ان تعبيراتك هذه تعجبني واحب ان اقول لك ان سيادته مفرم بامثالها غراما خاصا .. واذا تحدثت اليه بمثل ما تتحدث الـي الان فانك ستكسب قلبه بالتأكيد وتستميله بالتالي لوجهة نظرك في القضايا التي تهمك .. انه عاطفي الى اقصى حد .. ألم اقل لك هـذا من قبل ؟

عائد : لم تقله بالضبط ولكني فهمته من حديثك .. أين وصلنـا في القصة ؟ لقد تورط صاحبنا الابيض باعطاء وعدين متناقضين لطرفين متنازعين .. انه مسكين .. اجبرته الظروف .. أليس كذلك ؟

السكرتير : تماما ..

عائد : ان سيادته مثلك لم يعرف شيئا عن هذه الوعود .. ثم انه بريء من الجريمة التي ارتكبتها الزنجية بالسلاح الذي قدمه لها ودربها على استعماله صديقنا الابيض ..

السكرتير : هل فعل هذا ايضا ؟

عائد : نعم فعله وعلى دفعات .. ولكن سيادته لا يعرف شيئا عن هذا ايضا لان احدا لم يقله له .. ولان الناس هنا لا يعرفون هذا ..

السكرتير : هذا افضل بكثير .. انت تعلم انه يجب علينا ان نحمي سمعة الرجل الابيض وكرامته دائما .. انه العنصر الاقوى كما هو واضح ومعلوم ، والقوة تطمح دائما الى الظهور في ثوب جميل ناصع البياض ..

عائد : افهم هذا واقدره .. رغم اني لست ابيض اللون تماما ..

السكرتير : انك فاتح السمرة .. أي انك رجل ابيض لوحته الشمس قليلا ، ولكنك لست زنجيا .. انك الى البيض اقرب وواجبك ..

عائد : يقضي بالتعاون مع الابيض وبالتساهل الى اقصى حد ... أليس هذا ما قصدت ان تقول ؟

السكرتير : انك تقرأ ما في نفسي .. قل لي الان .. أهؤلاء الذين صرعتهم الزنجية برصاصها بيض ام .. ممن لوحتهم الشمس قليلا ؟

عائد : الحق انهم ممن لوحتهم الشمس قليلا .. مثلي ..

السكرتير : هذا ـ ارجو المعذرة لسوء تعبيري ـ مبرر كاف لمـا فعله الرجل الابيض .. ان مثل هذه الفعلة امر قد تمليه المصالح العليـا من وقت لاخر .. ولا اكتمك ان القصة لم تعد مثيرة كما كنت اتصور قبل لحظا ت .. انها تبدو عادية ..

عائد : ان الاثارة كامنة في طريقة تنفيذ الجريمة بشكلها الوحشي البشع .. لقد قتلت الزنجية عددا من الاطفال وبقرت بطون بعض الحبالى من الحاضرات في المزرعة والقت بالجميع في بئر غزيرة المياه .. بئـر المزرعة التي لم يكن يحلم احد انها ستتحول الى مقبرة تضم ذلك العدد من الضحايا !

السكرتير : انها جريمة مثيرة حقا وبشعة .. قل لي ماذا حـدث بعدها ؟

عائد : ماذا تتوقع ؟! لقد احتلت الزنجية المزرعة ودعت اليها عددا ضخما من اقاربها المشردين في اطراف الارض واعلنت ملكيتها التامة لكل ما وجدت امامها .. فعلت هذا بعد ان طردت قسما كبيرا من اصحاب المزرعة الاحياء واستبقت قسما ضئيلا لمسح الاحذية ونقل القـاذورات ولتهدد بافنائهم بعض اقاربهم من اصحاب المزارع المجاورة الذين يهددونها بالثأر مرتين في السنة ويرفعون الاعلام السود ثلاث مرات او اربـع احتجاجا على الوضع او لمآرب اخرى ..

السكرتير : هل قلت انها قضية الساعة ، انها حادثة جديدة كـل الجـدة ؟!

عائد : قد تكون قديمة كل القدم بالنسبة لسيادته وللاخرين ممـن يملكون نفوذ سيادته في بلدان اخرى ولكنها بالنسبة للاحياء من اصحاب المزرعة السابقين وابنائهم جديدة كأنها حدثت في هذه اللحظة بالذات.

السكرتير : هل اصدر سيادته حكما في القضية ضد اصحـاب المزرعة وقت حدوث الجريمة ؟

عائد : نعم .. للاسف الشديد ..

السكرتير : وتريد ان تقابله الان لتقنعه بتعديل حكمه كما اظن !

عائد : هذا ما ارجوه ..

السكرتير : ستتعب كثيرا .. لان ذاكرة سيادته ضعيفة من جهة ولانه يعنى بالحادث اليومي اكثر مما يعنى بالحادث القديم من جهـة اخرى .. هذا بالاضافة الى انه قلما يعدل او يرجع عن حكم اصدره .. الرجوع عن حكمه السابق يعني انه كان مخطئا وهو ـ كما يعتقد ـ منزه كل التنزيه عن الخطأ .. ثم ان القضية قضية زنوج واناس لوحتهـم الشمس قليلا .. وسيادته لا يحب هؤلاء .. حزازات قديمة كما تعـلم .. ثم انهم سببوا له مشاكل كثيرة لا تحصى في اطراف الارض كلها ..

عائد : انت تعتقد اذن انه لن يعطف على اصحاب المزرعة المشردين في مزارع اقاربهم !؟

السكرتير : ان اقاربهم من ذوي الثروة والجاه العريض كما يعـلم كل الناس وسيادته لا يحب الاغنياء وبالتالي لا يحب اقاربهم المشردين ولن يتعاطف معهم بحال من الاحوال ... ثم انه يحب الزنجيات اذا كن يتقن فنون الاثارة كزنجيتك القاتلة .. قل لي أهي جميلة جدا وساحرة كما يقولون ؟

عائد : هي كذلك ..

السكرتير : قل لي أدقيقة الخصر هي نافرة النهدين طويلة الساقين والشعر سوداء العينين ومتمدنة ؟

عائد : هي كما تقول ..

السكرتير : وقريباتها اللواتي قدمن لمزرعتها من اطراف الارض أهن مثلهـا ؟

عائد : هن مثلها ..

السكرتير : وكلهن طليات الحديث سهلات المنال ؟

عائد : اظن ذلك ..

السكرتير : اذن فقضية اصحاب المزرعة خاسرة تماما .. هل قلت انها غنية ايضا ؟

عائد : لقد قلت ذلك ..

السكرتير : لا امل اذن .. ومن الافضل لك الا تكون شاهدا في مثل هذه القضية .. اقول لك هذا عن تجربة .. انني اعرف سيادته جيدا .. أعرف كيف يفكر ويزن الامور ..

عائد : ماذا تقترح كحل ؟

السكرتير : حل لماذا ؟

عائد : لاصحاب المزرعة المطرودين ..

السكرتير : الحل عندهم وليس عندي .. انا لست صاحب مزرعة مطرودا !

عائد : ماذا كنت تفعل لو كنت صاحب مزرعة مطرودا ؟

السكرتير : ماذا كنت افعل ؟ سأقول لك .. ابدأ بالمنطقي والمعقول دون ان التمس الحل عند احد من اقاربي او عند سيادته ..

عائد : وما هو المنطقي والمعقول في نظرك ؟

السكرتير : هل سبق ان شاهدت سيادته في اسبانيا .. في حلبات مصارعة الثيران ؟

عائد : لا ..

السكرتير : ولم تره في حلقات المصارعة الحـرة والملاكمة او فـي ملاعب الكرة ؟

عائد : لا ..

السكرتير : ولم تلاحظ شغفه الشديد بافلام الرعب وافلام الفروسية والحرب والمغامرات والاجرام ؟

عائد : لم الاحظ هذا..

السكرتير : ولم يتسع وقتك لقراءة اخبار الجرائم في الصحف كما اظن !

عائد : الامر كما تقول .

السكرتير : هذا ما ابقاك بعيدا عن الحل كما ابعدك في نفس الوقت عن الوصول الى كسب عواطف سيادته .. لقد شرحت قضيتك في كراس كما اظن وبلغة عالية مهذبة خالية من الاخطاء النحوية والاملائية .. أليس كذلك ؟

عائد : فعلت هذا ..

السكرتير : دون ان تعلم ان سيادته لا يحب التفكير العميق والتحليل وانه سريع التصديق لما يقال اذا قيل بطريقة تلائمه وتناسب ذوقه..

عائد : فعلت هذا دون ان اعلم انه لا يحب التفكير العميق..لم يقل لي احد شيئا عن عقليته ..

السكرتير : التعقيد ضد عقليته الا في بعض الحالات التي يكون البيض فيها طرفا في النزاع..

عائد : انك لم تذكر لي شيئا عن الحل .. لم تقل بعد ما هو المنطقي والمعقول في نظرك..

السكرتير: العجلة غير مجدية حين تقترح حلا لمشكلة ملونين، العفو، اقصد مشكلة اناس لوحتهم الشمس .. ولو كنت رجلا ابيض لشرعت لك الباب ، بل لما احتجت الى باب للدخول لقلب سيادته .. أتذكر أولئك السمر الذين فتك البيض بهم لمدة تزيد على السبع سنوات ؟

عائد : اذكرهم طبعا .. انهم من اقارب اصحاب المزرعة ..

السكرتير : ان سيادته لم يحفل بهم الا حين علم ان الفتك كان متبادلا بينهم وبين البيض وانهم على استعداد لقتال البيض حتى اخر رجل ..

عائد : اعرف هذا كله ..انك لم تذكر الحل بعد !

السكرتير : لقد حل السمر مشكلتهم مع البيض منذ مدة وجيزة! الم تفهم ما ارمي اليه بعد؟

عائد : ان لمشكلة اصحاب المزرعة ملابسات تختلف كل الاختلاف عن ظروف وملابسات اقاربهم .. ثم انهم عزل من السلاح ويسكنون الخيام..

السكرتير : يعتقد سيادته ان اولئك الذين يرتضون بسكنى الخيام اليوم هم اما اناس الفوها منذ الصغر او اناس لا يهمهم كيف يعيشون بالمرة، اضف الى هذا انهم يعيشون عيشة الكفاف وانهم عالة على الجميع.

عائد : انهم ليسوا عالة على احد.. واستطيع ان اذكر لك من الارقام ...

السكرتير : « مقاطعا » قلت لك ان الارقام لا تهم سيادته الا اذا كانت متعلقة بالضرائب التي يدفعها .

عائد : ان ارقامي ستصحح خطأ فاحشا وقع فيه سيادته وتقرب اليه فهم قضية اصحاب المزرعة، تقربه من الحقيقة..

السكرتير : الحقيقة هي ما يعتقده سيادته لا اكثر ولا اقل ..

عائد : العنف اذن قد يهديه ويبصره بحقيقتي..

السكرتير : لقد بصره من قبل وهداه الى حقائق وفرض عليه امورا كثيرة .. ان العنف مرادف للرجولة ، وهو معجب بالرجولة !

عائد : ولكني واثق من انه سيهتم بقضية اصحاب المزرعة اذا عرفته بجرائم الزنجية ونواياها العدوانية ..

السكرتير : ان قضية الزنجية قد صارت مملة ورتيبة لكثرة ما قيل فيها . أليس عندك قصة مشوقة اكثر ، قصة تلفت نظره لقضيتك ؟

عائد : عندي قصة العذراء التي ظهرت في الحلم لعجوز من بلادنا؟

السكرتير : هذه غير مهمة او مشوقة .

عائد : اذن قصة الذي رأى السيد المسيح ولمس جراحه ..

السكرتير : ان سيادته ليس متدينا في اعماقه .. يحسن بك ان تعلم هذا .. ثم انه مغرم بالجديد ..

عائد : الجديد ! اذن قصة الشيخ احمد ..

السكرتير : الشيخ احمد ؟ من هذا الرجل ؟ ان اسمه مثير!

عائد : هو الذي يبشر بظهور غيم مثل البيض في السماء ويرى مختلف الانبياء بين الحين والحين ويحادثهم ويحدثونه عن اقتراب الساعة ويخبرونه بقدوم المسيح الدجال ومن ثم القيامة والحشر والحساب والعقاب .. الا يثير هذا سيادته ؟

السكرتير : قصة التي شنقت نفسها في الحمام افضل الف مرة وتحرك اوتار قلبه اكثر بكثير من هذا اللغو .. ألم تسمع بـ «(م.م)» ؟ لقد ذرف من اجل جسدها الهامد الجميل سيولا من الدمع تكفي لو تجمعت في مكان واحد لتعويم الاسطول السادس بأكمله ولمدة طويلة.. اما الورد الذي شيع به جنازتها فيكفي ثمنه لاطعام مدينة كبيرة اسبوعا كاملا ..

عائد : لا اعرف من هي «(م.م)» هذه ولعلها شخصية بارزة فعلا .. اما الاسطول السادس فأعرفه تماما ..

السكرتير : انك لست فقيرا جدا في المعلومات كما تدعي .. ان ما ينقصك هو التوجيه السليم والنصح الصادق ومن ثم العمل على ضوئهما ..

عائد : لعل هذا هو ما بدد طاقاتي كلها .. ولكن نصيحة اخرى من رجل له مثل مركزك قد لا تضرني ..

السكرتير : نصيحتي لك ولاصحاب المزرعة واقاربهم هي في كلمة واحدة : الزحف ، ليزحفوا على الزنجية ويذبحوها وقريباتها بوحشية منقطعة النظير اذا امكن .. سيثير هذا سيادته ويسليه جدا وينزعه من دوامة الرتابة التي يحاول جاهدا الخلاص منها ..

عائد : ان اقارب اصحاب المزرعة لم يقتنعوا بهذه النصيحة التي قالها ابي من قبلك .. انهم يزعمون ان لديهم طرقا افضل ..

السكرتير : لقد قلت لك ما عندي بصراحة ..

عائد : اشكرك جدا على معاملتك الحسنة لي..

في الاسواق :

الحضارة العربية الجديدة وحتمية الثورة

تاليف

أنور قصيباتي

* ان حضارة جديدة تلوح في الآفاق البعيدة ، وان العرب هم الذين سيبدعون هذه الحضارة .

* ان الثورة هي الطريق الوحيد لاقامة هذه الحضارة، ولن تتحقق الا بالتدخل الارادي

الثمن ٢٠٠ ق.ل ـ ٢٥٠ ق.س

منشورات دار الاداب

السكرتير : لا شكر على واجب .. والان .. سأدون اسمك في السجل واحدد لك موعدا لمقابلة سيادته .. الاسم من فضلك ..

عائد : اسمي ... لاجيء ..

السكرتير : الاسم الكامل من فضلك !

عائد : ابن صاحب مزرعة مطرود ..

السكرتير : « وهو يكتب » مزرعة مطرود .. الاصل ؟

عائد : الاصل ؟!

السكرتير : نعم.. الاصل .. ألم تسمع بهذه الكلمة ؟

عائد : اني صغير السن كما ترى ولم اعرف بعد .. اقصد.. لم لا ادري ماذا اقول لك بالضبط ..

السكرتير : هذا غريب .. ألا تعرف ما هو اصلك ؟!

عائد : اني صغير السن كما ترك ولم اعرف بعد .. اقصد .. لم استقر على رأي ..

السكرتير : ماذا تعني بقولك هذا ؟

عائد : اعني ان ابي يصر على ارجاع نسبي الى اولئك الفامقي السمرة الذين لا يحبهم الناس هنا ، بينما يصر بعض معارفي واصدقائي على اني من اصل اخر بدليل وجود بعض الاحجار الضخمة قرب بيوتهم هذا بالاضافة الى عدد من العواميد وبعض النقوش على الصخر والاضرحة.

السكرتير : هذه فوضى لا يهضمها سيادته .. لن أذكر شيئا في خانة الاصل بالمرة .. هذا افضل . العمر من فضلك .. تاريخ الميلاد !

عائد : ١٩٤٨ .. لقد ولدت في تلك السنة ..

السكرتير : اتهزأ بي ؟ انك تبدو اكبر من هذا بكثير..

عائد : الم تسمع او يسمع سيادته بقول شاعر اسمر عن الهم الذي يخزم الجسيم نحافته والذي يشيب ناصية الصبي ويهرمه ؟!

السكرتير : ان سيادته لا يحفظ غير اسماء الشعراء البيض فقط لا شعرهم ، وعناوين المهم من كتبهم لا مقاطع منها .. على كل حال. سأكتب خمسة وعشرين عاما في خانة العمر ..

عائد : ولكنك زدت عشرة اعوام على عمري ..

السكرتير : لم ازد شيئا .. ستبلغ الخامسة والعشرين من العمر عندما تتاح لك مقابلة سيادته .. انه مشغول جدا كما قلت لك.. العنوان ومكان الاقامة الدائم ..

عائد : ان لي اكثر من عنوان ..

السكرتير : يستحسن ذكر عنوانين فقط ..

عائد : العنوان الاول هو : الشرق الاوسط .. شركة المزارع والمطاعم المختلفة .

السكرتير : « يكتب » .. المختلفة ليمتد ..

عائد : انني اتجول بينها .. اعمل في كل منها قليلا لاتمكن من العيش ..

السكرتير : « وهو ينظر الى ساعته » العنوان الثاني من فضلك ..

عائد : انه عنوان ابي .. المزرعة القديمة .. لا تكتب هذا .. انتظر قليلا من فضلك قد لا تصل الرسالة على هذا العنوان ، فقد حذف من سجلات البريد في العالم كما حذف من الخرائط الحديثة .. ما هو عنوان ابي .. ما هو عنوان ابي !

السكرتير : يجب ان تستقر على رأي .. الا تعرف عنوان ابيك ام انك ترمي الى شيء لا اعرفه ..

عائد : انني لا ارمي الى شيء بالمرة .. انني حائر فقط .. ان الرسالة لو بعثت بها الي على عنوان ابي القديم لن تصل الى يدي بل سيستلمها احد اقارب الزنجية ويمزقها واذا صدف ووجدت طريقها الى ابي فانها ستصادر لوجود اسم المزرعة القديم عليها .. هل ادركت ما في المسألة من تعقيد ؟

السكرتير : اوضح من فضلك ..

عائد : الحق يقال انه تبقى جزء من مزرعة ابي القديمة .. الجزء الغربي على وجه الدقة .. ولكن احد اقاربي استولى عليه والحقه بمزرعته وهو يظن ان ذكر اسم الجزء الذي اغتصبه خيانة له هو بالذات لان ذلك الجزء كما يدعي قد صار ملكا له او شبه غنيمة !

السكرتير : هذه مسألة عائلية يحسن بكم ان تفضوها بينكم ... سأكتب هنا عنوان قريبك منعا للخلافات والمشاكل .. مع السلامة.. الى اللقاء بعد عشرة اعوام بالضبط .. في مثل هذا اليوم .. في مثل هذه الساعة !

عائد : بعد عشرة اعوام .. في مثل هذا اليوم وهذه الساعة.. «يستدير خارجا» .

السكرتير : لا تنس ان تذكرني بنفسك بين الحين والاخر .. قد انسى ان ابعث لك رسالة في الوقت المناسب .. قد أؤجل الموعد.. قد يضيع السجل وذاكرتي كما تعلم ..

عائد : لن انسى ابدا .. لا تزعج نفسك بهذه الاحتمالات ..

السكرتير : مع السلامة .. الى اللقاء ..

عائد : الى اللقاء ...

المشهد الثاني

المنظر : خيمة سوداء فوق تل رملي جلس امامها رجل في الخمسين من العمر .. يُرى عائد وهو يمشي ببطء صوب الخيمة ..

الاب : « وهو ينهض من جلسته ويمد ذراعيه بشوق » أهلا بك يا عائد .. لم اتوقع ان تعود بهذه السرعة يا ولدي..

عائد : لم اكن انا نفسي اتوقع هذا ايضا !.

الاب : اراك مكفهر الوجه مقطب الاسارير .. ألم تقابل سيادته وتشرح له القضية ؟

عائد : قابلت سكرتير سيادته فقط وتمكنت من الفوز بموعد..

الاب : هذا تقدم على كل حال .. ومتى ستذهب للقائه ؟

عائد : « بمرارة » بعد عشرة اعوام .. في اليوم العاشر من الشهر الرابع بالضبط !

الاب : لن اعلق على زمن الموعد بشيء فقد تعودت على مواعيد سيادته وتعلمت الا اشعر بالزمن معه .. ولكن لم اختار السكرتير اليوم العاشر من الشهر الرابع بالذات ؟

عائد : لا ادري .. أعندك اعتراض على هذا التاريخ ؟

الاب : انني لا استريح اليه .. انه يذكرني باشياء رهيبة ..

عائد : بماذا يذكرك ؟

الاب : في ذلك التاريخ بالذات ومنذ اعوام قليلة القت الزنجية بمساعدة الرجل الابيض ببعض اولاد وبنات خالاتك وعماتك في البئر بعد التمثيل بالجثث .. ألم اذكر لك هذا من قبل ؟

عائد : ذكرته مرارا ورويت لي الجريمة بالتفصيل ولكنك لم تذكر لي التاريخ قبل اليوم ..

الاب : هو العاشر من الشهر الرابع اذن .. تذكر هذا ولا تنسه..

عائد : لن انساه .. ولكن يلوح لي ان لكل تاريخ ذكرى مرة لديك

الاب : صدقت يا ولدي .. ان كل يوم يمر يذكرني تاريخه بجريمة ارتكبت او مؤامرة حيكت او صفقة عقدت .. انك لم تولد هناك، ولو ولدت هناك لعرفت ان تاريخنا مليء بهذه الاشياء التي لا يجب ان تموت معي بل يجب ان تحيا فيك وتبقى في ذاكرتك زخما يدفع بك الى الامام وقوة تثيرك وتجدد عزمك في ساعات الضعف وتهيب بك ، تلوح لك دائما بالعودة .. اذ يجب ان تعود .. مهما كان الثمن ..

عائد : امن قبيل الانسجام مع هذا سميتني « عائدا » ؟

الاب : نعم .. من قبيل التكهن بما يجب ان يكون .. بما لا بد ان يحدث.. ولكن قل لي كيف احوال سيادته في هذه الايام ؟

عائد : احواله طيبة جدا .. ولكنه ـ كما فهمت ـ مشغول وغارق الى اذنيه في قضايا ومشاكل تفوق قضيتنا اهمية ..

الاب : اهناك امور تفوق قضيتنا اهمية في نظره ؟ ألم يدرك بعد كل ما قام به ابناء عمنا من دعايات ؟ ان قضيتنا قضية حياة او موت وانها تهدد بانفجار لا تحمد عقباه في المنطقة ؟

عائد : انه ـ كما علمت ـ لا يهتم بالانفجارات الا عندما يرى الفتيل مشتعلا في براميل البارود .. اما قبل هذا فلا .. لان اعصابه حديدية

من جهة ولانه مشغول بقضية المومس البيضاء التي اعتدى عليها الزنجي من جهة اخرى .. بالاضافة الى حزنه على الاخرى التي شنقت نفسها في الحمام امام صورة الحبيب .. ثم انه يعتقد ان تهديدات اقـــاربنا فارغة لانه يؤمن بان « غدا » تعادل « ابدا » وان « سأفعل » تعنـي «لن أفعل » .. الا ترى كل هذا غريبا وغير متماسك ؟

الاب : كان عليك ان تقنع بما قلته لك وتوفر الوقت والمال معا.. الى سيادته كان فكرتك انت وليس فكرتي .. لقد سبق ان قلت لكانـه لا يهتم بنا لان اخوة الزنجية واخواتها قد حشوا رأسه بالاكاذيب ولـــم تصدقني .. كنت تؤمن بانه خير وطيب الى اقصى حد وبانه لا بـــد سيستمع اليك اذا قابلته ..

عائد : لقد كنت مخطئا حقا .. وقد تعلمت الدرس النافع ..

الاب : كـــان عليك ان تقنع بما قلته لك وتوفر الوقت والمال معا.. ان ما اقوله حصيلة تجارب مرة.. تجارب استنفدت عمري وجهدي كما استنفدت ما هو اهم بكثر مني ومنك ـ المزرعة.

عائد : لقد تعلمت على كل حال وعرفت شيئا مهما .. ان سيادتـه يحب الوحشية وسفك الدماء ويعجب بالقوي حتى ولو كان ظالما ما دام يقوم بالجريمة دون ان يترك تعقيدات تشغل الدماغ مثل الحق والباطل والشرعي وغير الشرعي .. انه اكثر من همجي وقد كنت اظنه مصـــدرا للمدنية ورأسا للحضارة ..

الاب : من حسن حظك ان تتعلم هذه الحقائق مبكرا .. لقد سلخت اكثر من نصف عمري لاتعلم ما ذكرته عنه ..

عائد : لقد تعلمت الدرس .. والان سأبدأ بالعمل على ضوء مـا تعلمت .. ابدأ من نقطة الصفر ..

الاب : ماذا تعني نقطة الصفر هذه ؟

عائد : تعني المنطقي والمعقول .. اتصل بأخي الكبير «مجاهد» ومن ثم بأخي الاكبر «ثائر» وبقية شباب العائلة والجيران في المخيم..احدثهم بما رأيت وسمعت الى ان تنتشر الدعوة بينهم ونبدأ العمل بعد تنظيـم الصفوف وحشد القوى ..

الاب : هذا هو المنطقي حقا .. ولكن ..

عائد : ولكن ماذا ..؟

الاب : « مجاهد » في السجن .. دخله بعد ذهابك بيوم واحد ..

عائد : بأي ذنب هذه المرة ؟

الاب : بالذنب القديم .. كان يدعو الى ما تدعو اليه الان ..ووشى به احدهم ، وجاء شرطة ابن عمك واعتقلوه ..

عائد : ولكن ابن عمي كان يصرح ، بل لعله يصرح الان ايضا بانه سيسترد حقنا الضائع فيمزرعتنا ، فما باله يناقض نفسه .. الا يـريد منا نحن اصحاب العلاقة والشأن ان نساعده على الاقل ؟!

الاب : ان التفافنا حول راية واحدة عمل له اسم غير شريف فـــي قوانينه كما علمت منذ مدة ..

عائد : لم افهم ما تقصد ..

الاب : انه يسمى جمعية سرية وتعكير امن واثارة شغب احيـــانا او اثارة نعرات وخلق جو غير ملائم لما يقوم به من اعمال مع اناس مهمين ممن تربطه بهم المصالح المشتركة والتجارة .. هذا ما يقوله هو ..

عائد : اتعني ان هناك اشياء غير هذه .. مقاصد مبطنة ..

الاب : يجب عليك الا تسيء الظن بابن عمك هذا .. انه من ذوي الدخول المحدودة كما تعلم ، ثم ان اياديه وافضاله علينا اكثر من ان تعد، لقد اتاح لنا فرصة العمل والتجول في مزرعته .. ان سواه من ابنـــاء عمنا لم يمنحنا هذه الحقوق ..

عائد : ولكن يجب ان اتفاهم مع ابن عمي هذا .. انه مثقف وسيفهم ان عملي بالاضافة الى كونه حقي المشروع هو حماية له في نفس الوقت.. ان الزنجية لن تتركه طويلا وستهاجمه اذا سنحت لها الفرصة وتكـــرر نفس مأساتنا معه ..

الاب : هنالك من ابنائه من لا يؤمنون بما تقول .. لقد سمعتمنهم ما معناه انهم يثقون بأن الرجل الابيض سيتدخل لمصلحتهم اذا حدث ما تتوقع !

عائد : يثقون بتدخل الرجل الابيض الذي خدعنا ؟!

الاب : ليس الابيض الذي خدعنا نفسه .. ابن عمه .. قل شقيقه او توأمه ..

عائد : ولكن الا يفهمون ان البيض كلهم سواء ؟.

الاب : من مشاكلنا العائلية الكبرى اننا لا نتعلم من تجربة واحدة..

عائد : ولكن هناك من ابناء عمنا هذا من يفهمون قضيتنا على الوجه الصحيح وقد شجعني هؤلاء في الماضي وافهموني اننا نشترك في قضية كبرى تشكل قضيتنا الجزء الاهم منها ، ساتصل بهم ..

الاب : اتصل بهم او انضم اليهم اذا احببت .. ولكن اتباع اخـي الشيخ « أمان » لن يتركوك تعمل بسلام..

عائد : ولكن ما دخل اتباع الشيخ « امان » في الموضوع .. الا يريدون ان اقوم بواجبي نحو قضيتي ؟

الاب : انهم لا يمانعون البتة في ان تعمل للقضية تحت لـــواء الشيخ « امان » فقط ، اما ان تعمل مع ابناء عمك فهذا يشكل خيـانة عندهم لانهم يؤمنون ايمانا اعمى بان لا حل للقضية الا على يد شيخهم المبجل ..

عائد : ان الشيخ « امان » ليس بقادر على الحل والربط في نظري، لعله كان قادرا على العمل يوما، هذا ما لا اناقشه.. ولكني لا اؤمن به وكذلك اخي « مجاهد » واخي « ثائر » أليس من الافضل له ولجهـاده السابق لو جلس في زاوية وتركنا نعمل للقضية على الوجه الذي نريده؟

الاب : من لا يؤمن بالشيخ « امان » وزعامته لا يستطيع ان يقـدم او يؤخر شيئا في سير القضية .. هذا هو رأيه كما بلغني من اولاده واتباعه !

عائد : اذن فكل طرق العمل مسدودة هنا .. ماذا يريدون منا؟ ان نجلس في الخيمة ولا نغادرها الا لاستلام فتات موائد العالم .. فتـــات موائد البيض والسود ؟. اهذا ما يريدون منا ان نفعله ؟

الاب : تستطيع ان تذهب للمقهى لتلعب الورق او النرد اذا شئت دون ان يعترضوا طريقك .. انني افعل هذا كل يوم .. واذا تكـــلم احدهم فاني استمع اليه واهز رأسي موافقا على صحة ما يقول ..هذه افضل طريقة لاثبات صحة العقل في نظر الجميع .. الايماء بالموافقـــة ودائما وبدون تردد .. هذا ما يفضله ابناء عمنا ويتوقعونه كل وقـت من باب الاعتراف بالجميل وعدم اساءة استعمال حق الضيف ..

عائد : سيسبقني الزمن اذا لم اصنع شيئا الان وانتهي الى ان اصبح كرسيا في مقهى او شيخا حكيما يكتفي بالايماء موافقا .. سأرحل عنك .. ان الحقيبة ما تزال في السيارة .. سأذهب الى الجزء البـاقي من مزرعتنا .. اتصل باخي « محروم » انه الوحيد الذي يحس بـــوجوب سرعة العمل بحكم وجوده قرب الزنجية ، واظنه يوافقني على العمـل الفوري ..

الاب : اذا ذهبت وسمح لك ابن عمك بالدخول اصبح ابا لاثنين في السجن او في القبر .. ان اخاك هناك في اتعس حال .. لقد قبضوا عليه منذ شهرين ..

عائد : هل فعلوا هذا حقا ؟!

الاب : لقد فعلوا اكثر من هذا بكثير .. اتهموه بالخيانة وجـروه الى معتقل في قلب الصحراء حراسه من البدو الضالعين في تثقيـف المعتقلين وتعليمهم !

عائد : أالى هذا الحد من السوء بلغت الحالة هناك ؟!

الاب : كانت الحال اسوأ من هذا بكثير قبل ميلادك بأيام .. لقـد كان ابن عمك هناك ممن سهلوا مهمة الرجل الابيض وساعدوا الزنجيـة في تنفيذ الجريمة .. لقد عرفت هذا متأخرا للاسف ..

عائد : أي ابن عم هذا .. انه يشبه دراكيولا ..

الاب : من هذا الذي تذكره ؟

عائد : انه بطل قصة قرأ منها سيادته ملايين النسخ في السنتـه الحية .. هذا ما قيل لي ..

الاب : اهو بطل ثار من زنجية هاجمت بيته كما في حالتنا امزنجي هاجم بيوت الاخرين ؟

عائد : قلت انه يشبه ابن عمنا ولم اقل العكس !

الاب : عفوا يا ولدي .. انذكر كلمة « بطل » شوشت تفكيري .. من هو هذا الذي ذكرته ؟

عائد : انه مثل ابن عمنا من بعض الوجوه .. لقد كان دراكيولا هذا يضم ما في اجساد ضيوفه من دماء الى دمه .. تماما كابن عمنا الـــذي ضم ما بقي من مزرعتنا الى مزرعته ..

الاب : في الاسمين تفوح رائحة نتنة !

عائد : لقد لقي دراكيولا مصيرا بشعا بشاعة جرائمه ..

الاب : وكذلك ابن عمنا .. هذا ما اتوقعه على الاقل .. قـل لي ماذا قررت ان تفعل الان ؟

عائد : ما دام مجال العمل غير موجود في الجزء الباقي منمزرعتنا فلا مكان للتدقيق في الاختيار .. سأذهب الى ابني عمي .. «مستقر» «ومطمئن» .. اتصل ببقية افراد عائلتنا في الخيام والمخيمات عـــلى السفوح وفي الضواحي .. وقد ..

الاب : لا انصحك بهذا .. ان ابني عمك ـ بعكس ما يفهم مـــن اسميهما .. لا يملكانالكثير او القليل من الاستقرار او الاطمئنان..ومعظم افراد عائلتنا هناك من المشبوهين في نظر ابني عمك في هذهالاونة وكـل حركة او سكنة لهم بحساب ..

عائد : لا افهم معنى هذا التحول المفاجيء .. لقد تركت ابني عمي وهما في سبيل الاتفاق مع ابني عمي « مقاتل » .. الم يتفقوا ؟

الاب : اتفاقا اوليا ..اتفقوا على غرس البذور ولكنهم اختلفـــوا على طريقة توزيع المحصولات .. هذا ما فهمته انا من الامر رغم محاولاتهم الباس الخلاف اثوابا فلسفية براقة ..

عائد : ولكن هذا يؤخر قضيتنا .. يجعلنا اضحوكة امام سيادته.. ان الزنجية ستستغل الخلاف لتظهرنا بمظهر الاغبياء بل والمجانـــين المتوحشين في عينه .

الاب : انها لن تحتاج الى هذا الخلاف بالذات لنشر هذه الافكـار .. البركة في ابناء عمك « جوعان » و «سرحان» و «راغب» و «طالب» وفي لحاهم الطويلة .. لقد فعلوا المستحيل في سبيل هذه الغاية !

عائد : تعني انهم ..

الاب : نعم .. والعن من الماضي ايضا ..

عائد : هذا يفسر لي ابتسام الناس وهمسهم في الاسواق عنـد مروري بينهم .. لقد كانوا ينظرون الي كما ينظرون الى حيوان غريب.. يحدقون في وجهي ويهزون رؤوسهم بعجب !!

الاب : انهم معذورون .. لعلهم كانوا يتوقعون رؤيتك في سيـارة ذات اطار من الماس او الذهب ..

فنـــدق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز واسعار معتـــدلة

بادارة : حلمي المباشر

عائد : لم يبق لي غير ابن عمي « مقاتل » سأذهب الى اخوتيالذين يعيشون في الجزء الباقي من مزرعتنا قرب بيته ونتفق على خطة..

الاب : لا اظن هذا ضروريا .. ليس الان ..

عائد : ماذا تعني يا والدي .. هذا اخر امل لنا في العمل ..

الاب : كان هنالك مجال للعمل قبل سنوات ! وابن عمك هناك..

عائد : لا تتعرض لسمعته بسوء ، انه الافضل ..

الاب : لم اتعرض له بسوء .. ولن اتعرض لاحد بسوء .. الم اقل لك اني تعلمت الايماء بالموافقة دائما ؟!

عائد : ارجو ان تشرح لي ما تعرفه عن الوضع هناك ..

الاب : انه ممتاز .. ولكن لا مجال للعمل المثمر ..

عائد : لم افهم ..

الاب : بين اخوتك هناك وبين الزنجية رجال واسلاك بعث بهمبوبها الرجل الابيض لحفظ السلام كما زعم ..

عائد : ولكن مجال العمل كان مفتوحا هناك منذ سنوات ..

الاب : تماما منذ سنوات ..

عائد : ولكن ..

الاب : هذا هو الواقع المؤلم ..

عائد : ولكن علينا ان نعمل شيئا ، أي شيء ، اننا لم نتقدم خلال الاعوام الماضية في شيء سوى السن !

الاب : ان ابناء عمك كلهم يقولون ان ازالة الزنجية ضرورة ملحـة ولكنهم يؤمنون بان لكل شيء اوان ..

عائد : متى يؤون الاوان .. ان للصبر حدودا ..

الاب : بعد ان يتفقوا على البذور والمحصولات والانصبة وبقيـــة المشاكل المتفرعة عنها .. هكذا سمعت منذ ايام ..

عائد : سمعتك تقول انهم سيجعلونها تموت جوعا منذ اعوام ..

الاب : هذا ما قالوه لي وما اعتقدوا انه الصواب .. لقد اخطأوا في التقدير تلك المرة ..

عائد : وهذه المرة ما رأيك بقولهم ؟.. ان قضيتنا لم تعد تحتمـل المزيد من الخطأ في التقدير .. لم يعد الزمن في صالحنا ..

الاب : ان رأيي غير مهم ولن يغير شيئا .. ثم ان صوتي غـــير مسموع لانني غير ممثل بينهم كما يجب ان يكون ..

عائد : يدعي الشيخ « امان » انه يمثلك !

الاب : انه لا يمثلني ولا يمثلك وكذلك اولئك الذين يزعمون انهم يمثلوننا هنا وهناك .. لقد فرضوا علينا فرضا ..

عائد : يلوح ان وضعنا ليس بافضل من وضع ابناء عمنا فـــي هذا المجال !

الاب : الامر ما تقول للاسف الشديد .. فوضى ورواسب لا نهاية لما تبذره من فساد ..

عائد : اتظن انه يحسن بنا ان ننتظر الى ان يتم الاتفاق عـــلى البذور والمحصولات ؟

الاب : بدون اتفاقهم لا مجال للعمل المثمر .. يجب ان يتفقـوا اولا ويجروا بعض التجارب ويفشلوا الى ان يتحقق الاتفاق الاخـــوي ويتم التفاهم المنشود ..

عائد : كل هذا هدر للوقت في نظري .. الابيض والزنجيـــة والزمن هم اعداؤنا وهم الذين يفيدون من التجارب الفاشلة اكثـــر منا .. أليس من الافضل لقضيتنا لو علقنا اجراء التجارب قليلا ..

الاب : لا تستطيع ان تنتصر اذا حاربت بيد واحدة وظهر عار ، لقد حدث هذا مرة وكان سبب البلاء كله .. يجب ان نصبر قليلا ..

عائد : سمعت امس ان الزنجية تصنع آلة ابادة تحصد الملايين..

الاب : سيصنع بعض ابناء عمك آلة ابادة مثلها ..

عائد : ولكننا سنتساوى في هذا مع الزنجية ..

الاب : هذه هي النتيجة للاسف الشديد ..

عائد : ونصبح في هذه الحال في وضـــع يشبه وضع الابيض وعدوه .. التكافؤ في الاسلحـــة يعني السلام في هـــذه الايام ..

والسلام بالنسبة لنا ولقضيتنا يعني الموت البطيء .. الموت ..

الاب : هذا ما قد يحصل .. الا اذا .. حدثت معجزة !

عائد : لقد علمتني منذ سنوات أن المعجزة لا تحدث بل تصنع.. يصنعها العمل المنظم ..

الاب : الظروف تفرض نوعا من التفكير معينا ..

عائد : كنت تقول ان التفكير يفرض الظروف ويعينها ..

الاب : قلت اشياء كثيرة وكذلك ابناء عمك ولم ينفع القول .. علينا ألا نـزيد الامور سوءا بالنسبة لهم .. يجب ان ننتظر ..

عائد : وماذا افعل خلال فترة الانتظار .. أأظل واقفا هنا امام النجمة ، مكتوف اليدين مطبق الفم اراقب واشاهد واتحسر ؟!

الاب : تستطيع ان تـذهب الى بيت ابن عمك « جوعان » .. سمعت انه بحاجة الى الشباب المدرب .. وهناك تستطيع ان تكسب بعض المال ..

عائد : وما نفع المال .. ان ما نريده هو البيت .. هو المزرعة ، ان الانسان بدونهما يصبح انسانا بلا شرف .. لا بيت لا شرف .. هذا هو وضعنا ..

الاب : لقد عشنا في هذا الوضع طوال السنوات الماضيـة .. وكذلك ابناء عمك .. انهم يعيشون في بيوت مهددة بالغزو .. او مما هو شر منه ! الافضل ان تعمـل وتكسب شرط ألا يلهيك هـذا عـن الاهم والاعظم الذي هو قضيتنا ..

عائد : وماذا ستفعل في غيابي ؟

الاب : ابقى حيث ارادوا لي البقاء .. هنا في الخيمة ..

عائد : ولكن هذا ظلم ..

الاب : لن يكون الاول ولا الاخير على كل حال ..

عائد : والوقت ؟.. كيف ستقضي الوقت ؟

الاب : في المشاهدة والفرجة .. ان امورا مسلية ومهمة تحدث كل الوقت ويجب ان اراها ..

عائد : ولكن هذا الوضع ليس وضعا طبيعيا بالمرة .. انه كوضع المشاهد في جلسات المحكمة .. لا يقدم او يؤخر ..

الاب : قل انه وضع الشاهد ..

عائد : الشاهد ؟

الاب : نعم .. الشاهد .. شاهد الاثبات الحي على العار ..

عائد : شاهد العار ؟!

الاب : هذا هو وضع المتقدمين في السن .. الشهادة فقط ..

عائد : والمزرعة .. والبيت واخوتي ؟ وانا .. ماذا سيكـون مصيري بدون كل هذا ؟!

الاب : لا ادري .. هذا مرهون بالارادة وحدها ..

عائد : الا تنصحني يا ابي قبل ان اسافر .. نصيحة اخيرة ..

الاب : النصيحة ؟! انها كلمات فقط .. سل ابناء عمك كلهم ..

عائد : انها عصارة تجارب عمر .. أتبخل بها علي ؟.. انها كل ما تستطيع ان تورثني اياه بالاضافة الى القضية !..

الاب : لم ينتفع احد بتجاربي ..

عائد : قد انتفع بها انا ..

الاب : مت صغيرا في عمر الورد .. مت امام باب بيتـك ، امام سياج مزرعتك .. مت الف مرة ولا تعش يوما واحدا تكون فيـه الشاهد على العار ..

عائد : شكرا .. الوداع يا والدي ..

الاب : رافقتك السلامة ..

(يخرج عائد من باب جانبي في المسرح ويبقى الاب الشيخ واقفا يتطلع الى الافق الملبد بالغيوم ، وفجأة يرفع كفه ليمسح دمعـة انحدرت على خده المجعد) .

ـ ستار ـ

قطر **حسن النجمي**

دار الاداب تقدم

دروب الحرية

رائعة الكاتب الوجودي الكبير

جان بول سارتر

في اجزائها الثلاثة :

سن الرشد
وقف التنفيذ
الحزن العميق

نقلها عن الفرنسية نقلا امينا دقيقا
الدكتور سهيل ادريس

★ نموذج الادب الوجودي في مفهومه الصحيح العميق
★ تحفة ادبية يجب ان لا تخلو منها مكتبة

سن الرشد : ٥٥٠ ق.ل
وقف التنفيذ : ٦٥٠ ق.ل
الحزن العميق : ٥٥٠ ق.ل